

مبادئ الفلسفة لطبيب السنة الثومبرية :

غاية الأخلاق عند أرسطو

للاستاذ كمال دسوقي

ما أسعد طلاب المسابقة بمقرراتهم هذا العام ! فكلمها - أو
ممنها - من الكتب العامة ، الهامة في الوقت نفسه ، في عداد
الراجع الفلسفية : الدراسات حولها كثيرة ، والشروح
والكتابات وافية غزيرة ، وما على الطالب إلا أن يلقى بنفسه في
لجتها ليستوعبها .

والكتب التحريرية - التي هي مجالنا في هذه المقالات
حتى يوم الامتحان - من عيون الكتب الفلسفية كل في ناحيته ،
الأخلاق والمقائد ، فضلا عن أن كليهما لأحد مشاهير الفلاسفة
عند اليونان وعند العرب ، إن لم نقل إنه لأشهر فيلسوف يوناني

السبب أن المتبعدين يقنعون الناس على أبدي وكلاهم بأنهم
إن أساءوا اهتمال قوتهم ونكبوا الدولة فما أجريت هذه الملكية
إلا لعله سامية دأى لبلوغ النجاح من أجل الشعب ، ومن أجل
الأخاء والوحد والمساواة الدولية .

ومن المؤكد أنهم يقولون إن هذا الاتحاد لا يمكن بلوغه إلا
تحت حكمنا فحسب ، ولهذا ترى الشعب يتهم البريء والمجرم ،
مقتنعا بأنه يستطيع دائما أن يفعل ما يشاء ، ومن أجل هذه الحالة
العقلية بمحطم الرعاع كل تماسك ، ومخالفون القوضى في كل شبهة
وكل ركن . إن كلمة الحرية تزج بالمجتمع في عراك مع كل القوى
حتى قوة الطبيعة وقوة الله . ولذلك كان السبب في أنه - حين
نستحوز على القوة - يجب علينا أن نحقق كلمة « الحرية » من
قانون الإنسانية كأنها رمز القوة الوحشية التي تمسخ الشعب
حيوانات متمطشة إلى الدماء . ولكن يجب أن نركز في عقولنا
أن هذه الحيوانات تستغرق في النوم حينما تشبع من الدم ، وحينئذ
يكون من اليسر أن نحرها ونستعبدنا . إنها إن لم تعط الدم
فلن تنام ، بل سيقاقل بعضها بعضا .

محمد خليفة التونسي

وعربى على الإطلاق .

ولنبدا أولا بأرسطو في « أخلاقه » النيقوماخية .

نتناول الفيلسوف أولا ، ثم نعود إلى تحليل الكتاب ،
خصوصا الجزء المقرر منه .

والراجع العربية التي يمكن أن تفيد في الأخطاء بحياة
الفيلسوف اليوناني ومنهجه - إذ يجب ألا تقتطع نظرية الخير
من الأخلاق الأرسطية ، ولا الأخلاق ذاتها من جملة المذهب
الأرسطائي - أقول هذه المراجع العربية كثيرة ، وإن كان
يجب قراءتها بحذر وحيطة ، والبسده باستيعاب النص المطلوب
دراسته ، ثم التقيب بالشرح والتوايف الواردة حوله ، وأخيرا
وضعه في مكانه من الهيكل العام لفلسفة أرسطو ؛ حتى لا يكون
لهذه الكتب التفسيرية خطرها ومصادرها على فكر الدارس
ألا يكون له رأيه ووجهة نظره الخاصة . وهو أهم ما يجب أن
أن يحرص عليه طالب المسابقة .

ذلك - أيها الطالب النجيب - أن المسابقة سبق ، ولا
يحوز قصب السبق إلا الباسل الغوار الذي يحول بين الآراء
ويصول ، ثم لا يعدم - حين لا يكون له رأى خاص مستقل -
ألا يفرق بين مختلف الآراء ، فهد نفسك لهذه الغاية النبيلة وهذا
النواز الكريم ، ففي السباق يقاس بالأثف ، وليس أجل في
الحياة من لذة النصر ...

أبدأ بقراءة النص المطلوب إليك دراسته ، ثم أعد قراءته
مرة ومرة ، فسترى أنك في كل مرة تعميد القراءة تكشف من
أمره جديدا ، وتفهم أكثر من ذي قبل ، (واستمعن) واستمع
على فهم أرسطو بالتعليقات التي ذيل بها المترجم الفرنسي صفحات
ترجمته ، وهي المنقولة بين يديك إلى العربية ، وأحمد مى - في
هذا المقام - هذا الجهد الرائع المتخلص الذي بذله - وما يزال
يبذله - إمام الجيل وأبو الفلاسفة أستاذنا لطفي السيد باشا في
إخراج تراث أرسطو الفلاني إلى العربية هذا الإخراج الجبار ،
الذي تعرضه دار الكتب المصرية في أجل ثوب وأكمل صورة ،
فتجتمع له عظمة المادة والصورة ، كما ترى في الكتاب الذي
تقلب صفحاته ، وهو واحد من جملة أسفار بعضها في ضعف
حجمه ، هي أهم ما لأرسطو من كتب : فإلى جانب الكتاب

أن يرجع إلى لغة ثانية حين لا يجيد اليونانية — وقد من يجيدها حتى من كبار المؤلفين في أرسطو أنفسهم — فلتكن أقرب درجة أو درجتين من الأصل ، ففي كل تقريب أو تقرب من الأصل حسن « لفهم واختصار » لعم الترجمة — أعني أن من يقرأ أخلاق أرسطو — مثلاً ، فهي موضوعنا هنا — في ترجمة سانبليير الفرنسية يكون في الدرجة الثانية ، والذي يقرأها في العربية أقل درجة ، أما قارئها في اليونانية في الدرجة الأولى — وابن هو إلا أن يمتد إلى اليونانية بسبب أقوى من مجرد الدراسة ؟

ونعود إلى ما كنا بصدد قبل أن نستلحق هذا الاستطراد الضروري .

فأذا قد فرغت من قراءة النص وهضمه واستيعابه في الكتاب المقرر، والصفحات المعينة ؛ فاعمد إلى ترك الكتاب جانباً، وتناول بعضاً من الكتب التفسيرية في المذاهب الأخلاقية عامة ، وفي مذهب أرسطو — وخصوصاً الأخلاق الأرسطالية — خاصة . وأهم ما أشير به عليك في المكتبة العربية — ويوسفى ألا يسمح وقتك وسلامتك لتتأكد أن تقرأ عن أرسطو في الإنجليزية أو الفرنسية — هذه الكتب هي في درجة من الجودة لا بأس بها ؛ بل إن بعضها ممتاز حقاً ؛ فاستعرضها في بقعة وحذر .

إبدأ أولاً بما جاء في كتابك المدرسي المقرر عن أرسطو — فاقراء واستظهره ؛ وفي ذلك فائدة مزدوجة ، وأساس عام قوى متين ؛ وإطار سوف تفرغ فيه معلوماتك وتحميلك .

اقرأ بعد هذا عن أرسطو في كتاب قصة الفلسفة اليونانية للاستاذين أحمد أمين بك وزكي نجيب محمود — ففيه عرض مختلف بعض الشيء لنفس المعلومات تقريباً — ولكن في أسلوب هو إلى الأدب أميل — والفاسفة تتطلب الدقة وإحكام التعبير ، وإعسا أشير بهذا الكتاب لأنه يهيئ لك انسياق الفكر ، وانطلاق اللفظ ، ليتصرف قلبك فيما حصلت بحرية وجراءة وشخصية — ومثل هذا الكتاب يحقق لك هذه الفائدة (ص ٢١٢ — ٢٧٧) .

ونعمة كتاب في التربية قائم برأسه ، موضوعه أرسطو، للدكتور عبد الرحمن بدوي ، وهو منهج للدراسة أرسطو أولى منه دراسة كاملة أو مادة وافية ، وتطبيق لهذا المنهج على بعض أجزاء الكتب

الثاني في الأخلاق المتم لهذا ، نعمة كتاب الطبيعة ، وكتاب الكون والفساد ، ونحت الطبع الآن كتاب السياسة الكبير ، كان الرجل — أطال الله بقاءه — يعمل فيه وهو وزير للخارجية يضطلع بمذكريات المفاوضات ونيابة رئاسة مجلس الوزراء في عهد وزارة صدق باشا ولورد استانسجيت ، أفترن إخلاصاً للعلم واستنرافاً فيه أروع وأبلغ من هذا ؟ أليس لكم في ذلك أسوة حسنة ؟

ربما يؤخذ على هذا العمل العلمي الجبار مأخذ واحد ، وهو أنه — على إخلاصه وأمانة النقل وحسن الأداء فيه — قد ظهرت ترجمتان فرنسيتان أدق من تلك التي نقل هو رعتها . وما ذنب الكاتب الذي كان يترجم منذ ١٩٢٠ ألا يتنبأ بما سيظهر بعدئذ من الترجمات لبعض كتب متفرقة ؟ وهل ينبغي — انتظارك للأحسن والأكمل — أن تقف عاجزين لا نقول إلى لفتنا تراث الفكر الغربي وأرسطو خصوصاً ؟ إن ترجمة كتب أرسطو التي قام بها معالي لطفى باشا عمل جليل لا يحدث مرة في كل قرن ، فلا ضير عليه أن يقال فيه ما يقال — فللعمامة أن يعمل وينتج ، وللمأجز أن يقف جامداً ، ثم لا يملك إلا أن يتقد فالحمد أيسر من التأسيس والبناء .

ورشاء الله إنصافاً لصاحب هذه المهمة الجليلة أن يقف على آثار المترجم الفرنسي بصاحبه المصري فيما ولي كلاهما من أمور الأستاذية وشئون الحياة ، ليتشابه في معرض المقارنة في كل شيء . كلاهما أستاذ لكرسي الفلسفة الإغريقية في جامعة هذا في الكوليج دي فرانس وذاك في الجامعة المصرية ؛ وكلاهما ناقل أرسطو ومترجمه إلى لنته ؛ هذا في الفرنسية وذاك في العربية ، وكلاهما آخر الأمر وزير لخارجية بلاده : هذا في فرنسا وذاك في مصر ؛ كما قلت في تقديم محاضرة كان ألقاها بكلية الآداب وهو وزير للخارجية .

فانطمئنوا إذن إلى أن الترجمة العربية التي بين يديكم ترجمة معتمدة ، وتمريب ثقة ، وإن كان على الطالب الجتهد والباحث المخلص ؛ أن يكمل موقفه دائماً بالرجوع إلى الأصل في اللغة الأوربية التي يجيدها — ولديكم في الإنجليزية والفرنسية ترجمات كثيرة متداولة ، فارجعوا إليها ؛ فإذا كان لابد لقاري أرسطو